يوميات سمير

ما أن وصل سمير إلى المكتب لاستلام عمله الجديد كمدير لإحدى الشركات، حتى وجد الموظفين في حالة غير عاديةٍ وقلقٍ واضح، وأبلغوه أن صرَّاف الشركة قد أصيب بإغماءة في البنك، أثناء إيداعه مبلغًا كبيرًا، يتعدى المائة وخمسين ألفًا من الجنيهات، فسألهم: ألا يوجد إسعاف أو طبيب بالفرع الرئيسي نستدعيه لمثل هذه الحالات؟! فكانت الإجابة أنها شركة تابعه لقطاع الأعمال، ولا يوجد بها مثل هذه الرفاهية!

اصطحب سمير معه اثنان من الموظفين، وذهبوا مسرعين إلى البنك، فأبلغهم المسئولون هناك أنهم أرسلوا الصرَّاف إلى مستشفى صغير في الطابق الأول من نفس البناية، فهو مُصابٌ بتشنجاتٍ، ويُصدر أصواتًا غريبة، و يخشون تحمل مسئولية وفاته (لا قدر الله) !.. انطلق سمير إلى الطابق الأول، وتبعه زميلاه، ودخلوا شقة كُتِبَ على بابها "مستشفى دار الشفاء والعافية"، وكان الاسم مُفرغًا من محتواه، فلا هى مستشفى ولا يوجد بها أي شفاء أو عافية!

ولكن كانت هناك ممرضة تقف حائرة، لا تدرك شيئًا مما ينبغي عليها أداؤه في مثل هذه الحالات.. عديمة الحيلة، بينما الصرَّاف المسكين

ممددًا على بلاط الأرضية، يُصدِر أصواتًا غريبة، ويعاني حالة تشنج مثيرة للشفقه!

- انتي ازاي ترميه على البلاط كده؟!.. وفين الدكاترة ؟ (قالها عادل بلهجة عصبية محاولًا إخفاء ارتباكه)

- مافيش يا أستاذ دكاترة دلوقت.

- أُمال انتي قاعدة هنا بتعملى إيه بالظبط؟!

- لوسمحت أنا ليا في الشغلانة دي أربعتاشر سنة.. ومش مستنية حد يعلمني شغلي!

ثم نظر إلى زملائه: شيلوه معايا!

نظر الإثنان إلى الجسد الممدد أمامهما متعجبين؛ كيف سيحملانه!.. فقد كان قصيرًا سمينًا، لاتعرف من أين تحمله تحديدًا وكيف!.. وبالفعل عندما حاول أحدهما حمله من تحت إبطيه، سحب القميص في يديه، وعندما حاول الآخر حمله من ساقيه؛ انزلق البنطلون في يده!

صرخ سمير فى وجه الممرضة: عندك نقالة؟!

ناولته نقالة؛ في محاولة منها للتخلص منهم وصرفهم من المكان سريعًا قبل أن يموت ويتهموها بأنها السبب، وهي ليست إلا جزءً ضئيلًا من منظومة متكاملة.

لم يكن حمله ووضعه على النقالة بالأمر اليسير، خاصةً وهو عاري الصدر، ولايلبس سوى الجزء السفلي من الملابس الداخلية، فكان جسده المبلل بالعرق ينزلق من أيديهم كلما حاولوا رفعه!..

انفكت النقالة أثناء نزولهم على السلم وانزلق المسكين، وشاهد سمير رأسه وهو يرتطم بدرجات السلم عدة مرات حتى وصل إلى الدور الارضى!..

زاد التشنج، وعلا صوت الصرَّاف الغريب، كأنه يعاني سكرات الموت..

تبرع أحد الموظفين قائلًا: "دى حشرجة الموت ياسمير بيه".

امتقع وجه سمير وشعر أنه سينهار، ولكن كان عليه أن يتماسك، فالموظفان فى غاية السلبية.. يقفان خلفه في انتظار أوامره، وكأنه خبيرًا بهذه الأمور!..

انطلقوا بسياره أجرة إلى أقرب مستشفى حكومي.. زحام شديد وموظف أمن يقف على باب الطوارئ لمنع الدخول..

أبلغه سمير بالحالة التي معه، هزَّ رأسه غير مكترثٍ: ممنوع ياباشا!

دفعه سمير ودخل مندفعًا داخل المستشفى بلاهدف، وفعلًا وجد أحد زملاء الدراسة يعمل طبيبًا هناك، لا يتذكر اسمه.. ولكن لا يهم، وقبل أن يذكره بنفسه.. جذبه من يده خارجًا يجرى به.. والطبيب لا يفهم، حتى وصل به إلى المريض المستلقي على المقعد الخلفي فى سيارة الأجرة، وطلب منه المساعدة باسترحام.

جاء الممرضون بالتروللي مسرعين.. بناءً على أوامر الطبيب، وبمجرد أن تدلت عجلات التروللي الأمامية عن الرصيف، حتى انفكت كل منها في اتجاه، وجرت في الشارع قبل أن يضعوا الصراف عليها.. كان الممرض ينظر إلى هذا غير مكترثٍ.. وكأنه روتين يومي معتاد!

جرى سمير وزملاؤه لجمع العجلات، في مشهد كوميدي درامي مأساوي مختلط!

وأعادوا تركيبها مثبتين أصابعهم عليها حتى لاتنزلق مرة أخرى، وطلبوا المساعدة من الأهالى المنتظرين خارج الطوارئ؛ لوضع الصرَّاف المنكوب على التروللي الأثري المتهالك الهارب من متاحف وزارة الصحة!.

ترك معظم الأهالى ذويهم، واتجهوا لمساعدة سمير.

اندفع هذا الموكب جريًا داخل طرقات المستشفى، والتروللي يئن من الحمولة، ويتخذ مسارات مغايرة، ويتم ترويضه قبل الارتطام بالحائط، حتى وصلوا أخيرا إلى المصعد.

عامل المصعد يأكل جزرة في هدوءٍ تام، وعندما شاهد الموكب قال بلا مبالاة: المريض بس اللى يركب، والباقى يطلعوا على السلم للدور السادس العناية المركزة!.

صعدوا جريًا إلى الطابق السادس، واستقبلوا التروللي، ودخلوا غرفة العناية..

خبرة سمير السابقة أن غرف العناية المركزة مكدسة بالأجهزة المعقدة الحديثة، ولكن مارآه كان مختلفًا تمامًا.. فهي غرفة تم طلاؤها بالجير الأبيض، ولا يوجد بها أية أجهزة تُذكر، إلا بعض بقايا من أجهزه عفا عنها الزمن، تُرِكَت لزوم الديكور فقط، وأثناء تجديد طلاء الغرفة تم طلاؤها باللون الأبيض مع الجدران "وش نضافه زي ما بيقولوا"!

جاء الطبيب متباطئًا، ونظر إلى الصرَّاف الذي مازالت أسنانه تصطك، و جسده متشنجًا، ومازال غائبًا عن الوعي، وقال له: "مالك؟!– ها- إيه- فيه إيه؟!.. - رد عليا"..

نظر سمير متفحصًا وجه الطبيب، هل هو خفيف الظل ويداعب المريض!، استكمل الطبيب خفة الظل ولطم الصرَّاف لطمات خفيفة على خديه مرددًا : مالك؟!..

والعجب العجاب أن الصرَّاف أفاق وهو يصرخ: "فين الفلوس؟ يالهوى الحقوا الفلوس!"

طمأنه سمير قائلًا: متقلقش، موظفين البنك أودعوها في حساب الشركة، واضح إنهم عارفينك كويس، وكانوا في منتهى الشهامة.

الطبيب: تقدروا تمشوا دلوقت.. بقى زي الفل!

سمير: بس يادكتور حضرتك ولا قست له ضغط ولا حللت سكر ولا حاجة خالص!

" آه صحيح".. قالها الطبيب بخجل ونادى الممرضه: هاتي جهاز الضغط يا نهي!

وفجأة علت صيحات وصراخ، وأصوات أبواب تتخبط مثل الزلزال، وجرى الجميع في هلع بالغ..

اختفى الطبيب والممرضات، واستوقف سمير إحدى الممرضات قبل هروبها، وسالها عن سبب الهلع!

الممرضة: أصل فيه عيَّان من الصعيد مات دلوقت، وولاده مصممين يكسروا المستشفى!

سمير: إزاي الكلام ده ؟!

الطبيب وهو يخلع البالطو أثناء الركض: شفت يابيه.. بقى بعد المجهود اللى بنعمله مع المرضى، الناس تتصرف كده!

صرخ سمير فى الموظفين: شيلوا بسرعة قبل ماننضرب احنا كمان، بلا ضغط بلا سكر!

رفع الموظفان الصرَّاف على الأكتاف وهو بالملابس الداخلية، وحمل سمير الملابس والحذاء ونزلوا مسرعين جدًا من سلم خلفي لجمع القمامة.. لايختلف كثيرًا عن حال باقى المستشفى!

دخلوا من باب الشركة، كالعائدين من صحراء أفغانستان، والجميع ينظر لهم في ذهول.. ملابسهم متسخة، وشاحبي الوجه، إلا الصرَّاف؛ فكانت ملابسه بين يدي سمير الامينه !

ارتدى الصرَّاف ملابسه، ومشط شعره، ولم يعلم ماذا حدث.. غير أنه أخذ يمسك بمؤخرة رأسه موجها كلامه لسمير: أنا حاسس بصداع جامد فى المنطقة دي ياسمير بيه.

نظر سمير للموظفين وابتسموا.. فقد ارتطمت هذه المنطقة بحوالى عشرين درجة من درجات السلم.. فيما يطلق عليه ظلمًا وبهتانًا لفظ المستشفى.

بقلم د/ سمير الشربينى